

لغة السرد في رواية "باب السبت" لـ عبد القادر مهداوي

The language of narration in the novel "Bab al-Sabbat" by Abdel Qader Mahdawi

محمد يوسف غريب¹¹أستاذ محاضر أ ، المركز الجامعي عبد الله مرسلتي تيبازة، ghrib.medyoucef@cu-tipaza.dz

القبول: 2025-10-01

الاستلام: 2025-06-19

ملخص:

يوجه لغة رواية "باب السبت" لـ عبد القادر مهداوي التعالي السردية والتفرد اللغوي؛ بما تستثمره من شعرنة اللغة والخيال، مستأنسة بروح الفن، وبجوهر الإبداع، لتحضن اللغة عبر السرد لغة الوجدان، ولتصور عبره دقائق الذات، وهواجس النفس؛ ساعية إلى تصميم نموذج يليق بها؛ في انزياحية الأسلوب المازج بين لغة النثر ولغة الشعر.. فكيف استطاع النص أن يفرش مساحة للإدهاش وفق رؤى حدائبة وتصورات استشرافية..! من خلال تحديد أساليب السرد، وشعرنة اللغة، وتنويع أنماط الحكى .. إلى مدى تمثلها لتقنيات اللغة وما تراهن عليه الرواية الحدائبة..؟

كلمات مفتاحية: الأجناس؛ الخيال؛ الرواية؛ السرد؛ الشعر؛ الكتابة؛ اللغة.

Abstract:

The language of the novel "Bab al-Sabbat" by Abdel Qader Mahdawi is characterized by narrative transcendence and linguistic uniqueness. With the poeticization of language and imagination you invest in, being attuned to the spirit of art and the essence of creativity To embrace language through narrative and the language of conscience, and to portray through it the value of the self and its concerns. Seeking to design a model that suits her; This came about in the shift in style that combined the language of prose and the language of poetry. How was the text able to create a space for amazement

according to modernist visions and forward-looking perceptions...! Through the renewal of narrative methods, the poeticization of language, and the diversification of narrative patterns, and the extent to which its practices of language techniques were evident, and also what the modernist novel is betting on..?

Keywords: genera; imagination; The novel; narration; the hair; Writing; the language.

المؤلف المراسل: محمد يوسف غريب ، الإيميل: ghrib.medyoucef@cu-tipaza.dz

1. مقدمة:

فن الرواية؛ غواية المثقف وهوايته؛ فقد فتنت كتاب العصر؛ بما تمتعت به من حيوية وليونة؛ باستقطاب العوالم الممكنة وغيرها، وتشكيلها عبر المختلف والمغاير؛ لتتمثل هذه الأبعاد رواية "باب السبت" لعبد القادر مهادوي؛ ما وجّه لغة الرواية الميثة سردية والتفرد اللغوي؛ عبر شعرنة اللغة وتبجيل الخيال.. ولا حسبها ذلك، لكونهما لا يكفیان، لتأثيث الرواية فهما جوهر في كل الإبداعات الفنيّة والكتابات الأدبية.. لذلك نجد رواية "باب السبت" من حيث طبيعتها السردية تُنشد عنصرا آخر هو عنصر التعالي السرد ... من كونه سرد إلى كونه سرد مختلف. هو ما يميزها عن طبيعة الرواية بشكل عام؛ كونها نصا مفتوحا على جنس الشعر، بما جاء السرد المشعرن فيها يتموقع كعنصر فعال، يلون هيئتها التي تشكلت بها الحكاية الباقعة في المركز تحت جاذبية السرد؛ الذي يعاكس ربح الروي، إلى الدوران في زوبعة الحلزون العنيد..

سردية الرواية وذوبان الأجناس:

الرواية بشكل عام هي نوع سردي من بين الأجناس السردية، لكن مهما تطورت الدراسات وتقدمت النظريات في البحث عن حدود لها، فلا تستطيع أن تحقق ذلك؛ لكون الرواية تعبير عن الفن والحياة؛ اللذين لن يثبتا أبدا على نمط واحد، فلا غرو باعتبار الرواية كجنس أدبي "يتسع لقطاع عرضي

للحياة، بكل ما تحمله من هموم وهواجس فكرية واهتمامات إيديولوجية" (عباس، 2005، صفحة 66) فلا "يمكن أن نتصور مفهوماً نهائياً للرواية، وتصوراً محدداً؛ يعني لا مجال لها في حصولها على الكمال، فالحياة البشرية بأطرافها المختلفة لن تصل إلى ذلك، أليست الرواية انعكاساً للحياة؟! وإنّ تطور الرواية قد يمشي بالموازاة مع تطور الحياة التي لا تتوقف؛ وهذا يعني أنّ الرواية هي الوجود، أي أنّها صورة لمسيرة الإنسان الذي ساهم في صنع الحياة" (إخلاصي، 2008، صفحة 495).

إنّ الرواية من حيث تشكّلاتها هي ليست "النوع الأدبي الوحيد الذي لا يزال في طور التكوين، والنوع الوحيد الذي لم يكتمل بعد" (تاوهر، 2004، صفحة 163) فهي كغيرها غير خاضعة لقوانين مبيّنة، وليست لها حدود صارمة كبعض الأنواع الأخرى، وهو ما يجعلها منفتحة على مختلف الأنواع الأدبية، تتسع لجميع الأجناس، فلا مناص عن التمازج والتبادل بينها وبينهم لانتفاء الشكل المناسب في كل حالة وموقف يعلن عليه المضمون ويوقع عليه الشكل في نمط تتلاشى فيه الحدود وتقام كيفما كما تشاء الحالة.

إن الرواية الحديثة في بعض أشكالها تركز على الخلط والمزج بين الأجناس الأدبية، مما نتجت عنها مفاهيم نظريّة، عبرت عنها مصطلحات مترادفة نسبياً ك: التهجين والتجنيس والأجناسية النصية... هو ما أدى بها إلى حتمية إسقاط مبدأ نقاء النوع؛ الذي حافظ عليه أرسطو والكلاسيكيون، فلم تصبح جنسا أدبيا نقياً، وما هذه المصطلحات (التهجين، التجنيس، الأجناسية النصية...) إلّا دليل على ذلك، فعند التعرض لتعريفها نجد أنها تحمل معنى الخلط، المزج وعدم النقاء (المناصرة، 2006، صفحة 80) هو ما تجسّد في رواية "باب السبت".

1/ الشعر الذي يكتب القصة:

إنّ ما اتضح لنا وما لاحظناه بخصوص أبرز مظاهر التداخل بين شكل رواية "باب السبت" وسائر أشكال الأجناس الأدبية، كان من بينها التداخل مع جنس الشعر؛ ولعل ذلك يعود إلى ما عرف عن الكاتب "عبد القادر مهادوي" بكونه شاعراً قبل أن يكون روائياً، فحين حاول كتابة الرواية لم يتمكن من كبح لجام النظم، ومن منع وتعطيل آلة الشعر وشكّم لجام ناصية القصيد في كتابة روايته، وسرد وقائعها،

ومع ما يقدمه الواقع من مرارة ومأساة، فقد وجد الشاعر نفسه مجبرا لكي يطلق العنان لكلماته من أجل أن يكشف عمّا يخالج صدره من أزمات واضطرابات، فوجد أن الشعر بقلبه المضموني يضع أمامه صور البوح، في نهج من التدوير والتحول من حالة إلى أخرى داخل بوتقة الصدمة؛ هي تحولات اتخذت طابعا شموليا، لها أبعادها الحضارية والاجتماعية والثقافية والكونية، وأكثر المبدعين إحساسا بهذا التحول هم الشعراء الذين أدركوا أنّ الشعرية إحدى السمات الرئيسة للخطاب الإبداعي المعبر عن هذه الصدمة. (الشنطي، 2009، صفحة 437)

لقد أصبح من البديهي القول بأنّ الشعر وعلاقته بالقص، أو العكس؛ هما وجهان لعملة واحدة، فعملية الكتابة تعتبر سلاحا لمواجهة العدم والفناء؛ الذي تعانیه القيم الاجتماعية المتدهورة فكلاهما يحاولان بناء نظام قيمي يحوي رؤية مخصوصة، وموقفا من الذات والعالم والزمن (بن حميد، 2008، صفحة 405) إذ أصبح استخدام الشعر ضمن الكتابات الروائية علامة للانتقال من النص المغلق إلى النص المفتوح؛ وبهذا تتقلص المسافة بين الشعر والرواية.

تبقى علاقة الشعر بالرواية علاقة وطيدة، إذ نجد نصوصا شعرية هي نصوص قصصية أكثر مما هي تدفقات وجدانية شعرية، كذا نجد من الفنون القصصية بما فيها الرواية تتداخل مع الشعر، وذلك لمحاولة بناء نظام قيمي يحوي الرؤية المخصصة، ويسعى إلى وصل الشعور والرؤى الذاتية والموضوعية، ذلك لأنها تهتم بالصلة بين القارئ والنص كذلك، فإنّ الروائيين الأوائل مثلا وخاصة في القرن الثامن عشر لم يهتموا بالأسس النظرية لنوعهم الأدبي (المناصرة، 2010، صفحة 154) فقد كان عدم اهتمامهم عائد لأسباب فنيّة وموضوعية، اختارها الروائي حسب نوعية الوظيفة التي من خلالها يجسد الموقف أو يغير مسار الرواية، أو يفند فكرة أو يطرح رأيا مسكوتا عنه، من خلال استخدامه لعدة أشكال ونصوص مشعرنة.

إنّ ظاهرة استخدام الشعر " ترتبط بوظائف مخصوصة، تُثري درجات التعبير وتعمق أدبية النص (بن حميد، 2008، صفحة 405)، بمعنى أنّ استخدام الشعر في الرواية هو استخدام يقصد الروائي من خلاله مخاطبة عدد أكبر من القراء الذين يحبون تذوق الخطاب الشعري، ويوسع أفق التلقي ليعطي الكاتب لرسالته بعدا قيما يخلو من قيود النزعة التعليمية والتلقينية. يقول عبد القادر مهادوي في روايته:

كلنا مسافرون....

القمر مسافر...

والسهر مسافر....

والفرحة مسافرة....

حتى الحزن مسافر....

كل الناس مسافرة وهي قريبة مني ...

كل الناس في غربة ومين حيسأل عني؟

د حنا قرييين وهما قرييين

لكن من سنين

من سنين

كلنا مسافرين... كلنا مسافرين. (مهادوي, 2015، صفحة 57_58)

بمعنى أنّ دوام الحال من المحال، فكلمة مسافر تدل على أنّ لاشيء يبقى على حاله لذلك يسعى الروائي إلى بث روح التغيير في مختلف البنى والأصعدة القائمة والقابلة للتشكل والتعبير، فالروائي يبحث عن تقنيات جديدة من خلالها يجمع بين مختلف أصناف القراء وميولاتهم، ويسعى إلى بسط نوع من التعبير على مستوى اللغة، والربط بين الأفكار والأحداث، فيجمع بين شكل سردي وآخر شعري؛ من أجل قالب يزاوج بين النظم والنثر؛ ليكون لافتا للأنظار ومحفزا لمختلف القراء.

إذا فاستخدام الروائي للغة الشعر، يمكن أن يكون لعدة غايات أهمها:

-استيعاب الرواية لعدد أكبر من القراء، وتزيين للشكل أو القالب الثري بنصوص شعرية بلسان الكاتب، وقد يستخدم الروائي السرد الشعري في صياغة نصوصه وبسط أفكاره، فتأتي متضمنة لشعرية مقصودة من خلالها تفتح الشهية للتحفز وللقراءة، فيصبح القارئ مجبرا على تتبع صيغ الرواية وجملها الحافلة بألوان الصور والبيان..

إنَّ سرديّة الرواية التي تسير في مخيلة القارئ، فمن جهة يجد نفسه يسبح في خيال الرواية ويتابع أحداثها كأنّه عنصر من عناصر تحسّد الحدث. ومن ناحية أخرى فإنّه يكشف عن أسرار اللغة التي يقرأها والتقنيات الأسلوبية للروائي، فتكون الرواية صدرا رحبا لكل قارئ يميل إلى الشعر ويعشق قراءة النصوص الثرية على حد سواء، يقول الكاتب في الرواية:

"كلنا مسافرون إي والله، كلنا طارئون على الدنيا، نتوهم الإقامة فيها لا غير، مسافرون في حركة هي سبب وجودنا ولو في سكون، كل شيء سفر...." (مهداوي، 2015، صفحة 57)

لم يختَر الروائي اللغة الثرية البسيطة في سرده فحسب؛ بل مزجها مع الشعر وقام بتوضيح لغته لصالح أغراض الرواية، فهو حريص على أن تكون لغته السردية مثقلة بالصور الشعرية من خلال استعماله التكرار ليُضفي على النص الروائي نوعا من الإيقاع والنغم؛ يقول كذلك:

"كل شيء سفر، صباح جديد سفر، كل حب سفر، حزن سفر، كذلك" القمر مسافر، الفرحة مسافرة الحزن مسافر، الناس مسافرة" (مهداوي، 2015، صفحة 57_58)

رغم معالجة النقاد العرب ماهية الشعر في العصور السابقة، ومحاولتهم توضيح خصائصه وآلياته؛ لكن لم يبين نقدهم بشكل جوهري مسألة الفارق بين الشعر والنثر، من أجل تفسير وتوضيح الصورة المازجة بينهما في اتجاهين متعاكسين: أحدهما الاستعمال النثري للشعر، وثانيهما استعمال الشعر لتقنيات السرد؛ لكننا في الرواية نلمس النص المنتثر يحمل في طياته أبعادا كان من الصعب إيصالها من خلال جنس متفرد بنفسه (بن حميد، 2008، صفحة 406) لذا كانت لغة الشعر حاضرة في رواية "باب السبت" بعيدا عن إشكالية: شعر/ نثر، وما يدور حولها من نقاش.

بعد ميل بعض من الروائيين إلى استعمال روح الشعر في الرواية؛ قد تعود لأغراض يريدها الكاتب؛ منها: -التزيين -تقوية المعاني -تغيير توجه القارئ من النثر إلى الشعر أو من أجل تكملة الحوار من خلال تجسيده لمواقف الصراع، أو كحيلة فنيّة يستعملها الروائي من أجل إدراج نفسه كراو، لتكون الرواية على لسان الشاعر الذي يروي له، فالشاعر يستطيع أن يتقمص بشخصيته الشاعرية عدة أدوار، فيغطي بحيله الإبداعية جوانبا هامة من حياة الرواية.. انطلاقا من تشخيص هواجسه ومشاعره على عوالم التخيل.

إنّ ظاهرة شعرنة السرد في الرواية أمر منوط بالبناء الروائي، ذلك أنّ استخدام الروائي للغة الشعر يكون ضمن حدود التوظيف لغاية معينة، يكشف السرد من خلالها عن الحقائق النفسية لقائله، أو للموقف الذي وظّف له، وحسب الموقف الذي يطرح فيه قضيته ضمن أحداث الرواية، ولكن النقاد اختلفوا حول قضية الغاية من استهلاك الشعر في الرواية (الهواري، 2008، صفحة 97) فالناقد التقليدي كان ينظر إلى الشعر بوصفه قيمة جمالية، وحسب الرؤية النقدية للناقد التقليدي، فإنّ الروائي يقوم بتزيين الرواية بحكم وأمثال واقتباسات من الشعر القديم، ليس إلا لقدرته وتمكنه من الوقوف على مختلف الآثار الأدبية، واستعراض مخزونه الأدبي، وتراكماته الثقافية.

أ/ لماذا السرد الشعري في الرواية:

تقوم النبذة الشعرية بوظائف عديدة في الرواية، يستغلها الروائي من أجل غايات معينة تعينه في تحرير الرواية، متى شاء، ويسكنها أينما أراد، والتأكيد على مواقف عدة، تفتح له الباب أمام نفوس القراء ومن أهم هذه الوظائف ما يلي:

أ. حفظ الحدث:

يساعد السرد الشعري على حفظ الحدث القصصي في الذهن، فاستخدام الشعر في الرواية يكون بمنزلة العمود الفقري الذي ترتكز عليه ذاكرة الحدث وتدور حوله، وهذا لأنّ الشعر أقرب إلى حديث النفس من حديث النثر، فهو تعبير يسهل حفظه، كما أنّ الشعر يعيد سرد الحكاية على لسان بطل من أبطال الأحداث، يستغله الراوي ليبني رأيه من الواقعة أو تعليقه على الحدث، لذا فإنّ الراوي يفيد من الشعر وهيكلته وبلاغته من أجل الحصول على نبذة مؤثرة في النفس من خلالها بعض الهواجس والتصورات، أو ربما وجهة نظر مسكوت عنها (الهواري، 2008، صفحة 97). يقول الكاتب في نص الرواية:

"يا امرأة تأتي على دبابة وردية، يا لك من أنا ويا لك من مختلفة عني حد التناقض ...

يا أنت: أنت التي كنت زيت النار المقدسة، الزيت المقدسة هي النار نفسها ...، أنت التي كانت كلماتك تطاردني في جمل العمر (مهادوي، 2015، صفحة 59-60)

من خلال المناداة والمناجاة لامرأة الكاتب التي تأتي على دابة وردية اللون؛ كلون يعد من أجمل الألوان على الإطلاق، لون يحمل من رومانسية الحرب والنار؛ تناقض بين دابة رمز الدمار والاندثار، ووردي رمز الحياة والانبعاث؛ يوحي إلى الجاذبية والرفقة والعذوبة، بينما الدابة التي فيها كل معاني البعد والنفور والشدة والخشونة.. صفات لا تجتمع إلا في لغة الشعر؛ جعلت منها عبارة تمكث في الذهن وتسكن الذاكرة؛ لتعبر عن غرابة هذه المرأة ..

ب_ تقوية المعنى وإبراز الدلالة:

يستخدم الروائي لغة الشعر لمواقف عدة، ومن بين استخداماته يأتي طيف الشعر مكملًا للحوار أو ربما يكون أساسيا في بنائه، فالكاتب يستعمله لدلالاته الفنية ولإبراز المعاني النفسية التي يقوم عليها الصراع من أجل تصويره وتجسيده، وهذا ما يؤكد "مالارميه" إذ يفند فكرة التداخل التام بين الشعر والنثر من خلال الأسلوب الروائي؛ حيث "كلما قوي الإلقاء ظهر الشعر وكلما كان هناك أسلوب كانت الرنة الشعرية" (ميشال بوتور، 1982، صفحة 35) هو أنّ الراوي يستعمل الشعر عبر إقحامه بأسلوب ذكي في الرواية، من أجل استحضار المشهد وإبراز الدلالات المحيطة به في كل جانب وتجسيده بصورة عميقة تؤثر في القارئ، ويأتي تأكيداً لموقف ترسخ في الذهن والنفوس عن طريق النبرة الشعرية؛ لأنها تساعد على جذب المتلقي وإدخاله في جو السرد.

ج_ أداة تصوير:

يستعمل السرد الشعري بعدة كيفيات ومن بينها كما يتقدم بلسان شخوص القصص وأبطالها لتحديد موقفهم من الحدث، أي إنّ الراوي يستخدمه بديلاً للنثر لتصوير الانفعالات وإسعاف الشخصية بمكنون حقيقتها النفسية، فالشعر أداة فعالة لتصوير الانفعالات النفسية علماً أنّ "غوته" يرى أنّ المطلوب في الرواية تصوير نوازع نفسية وأحداث في المقام... (جورج لوكاش، 1979، صفحة 34) فالراوي يحاول استخدام الأدوات الأكثر عمقا في التعبير عما بداخل نفسه، متتبعاً الحركة الداخلية لنفوس الأبطال، فهو لا يستخدم القلب الشعري فضولاً أو حيلة، فالشعر أقرب ما يكون إلى خفايا النفوس والأفعال

الإنسانية المتضاربة؛ مما يؤكد سعة المسرح الروائي وعمقه الفني؛ رغم أنه ينحاز في بعض الأحيان عن النشر لاجئاً إلى القوالب والأدوات الشعرية. (المهاري، 2008، صفحة 101)

ب/ شعرة الأسلوب:

تعمد الكاتب أن تميل لغة الرواية إلى الأسلوب الشعري، بخلق مساحات من الصور الإيقاعية تجعل النص واسع الأفق، فاللغة هنا لا تسعى إلى نقل الحدث أو لتشكيل صور المشهد الروائي فحسب؛ بل تسعى أيضاً إلى التأثير في نفسية القارئ. حيث تكمن شعرية الأسلوب في خلخلة التراكيب مثلما نلمسها في التلاعب بالمفردات ليصبح الراوي منوعاً في متنه الروائي، فاسحاً المجال أمام سعة فضاء النص.

تقوم المكونات اللغوية في الرواية بشكل متناسق "في أنماط نحوية متوازية بتقطير إبداع الراوي وتشجير ما، يث الروح فيه، حيث تسكنه الكلمات الكبرى وتغدو واقعه الحي..." (بن حميد، 2008، صفحة 664). حيث هذا التناظم الشعري للتراكيب اللغوية والذي يفضي بدوره نوعاً من بث روح الواقع في النص، وإبداع الراوي، ليصبح هذا الأخير مستعداً للاعتراف بعالمه الخاص، فيساعده هذا التناسق الراقى من الكلمات المركبة في حصوله على وسيلة لتجسيد العالم الذاتي الخاص والواقع الحي "حيث تمتزج شعرية الحرف بشعرية الحي وتكشف عنها" (بن حميد، 2008، صفحة 664) فقرة النسيج والصياغة تجعل الحرف ذا علاقة وطيدة مع سياقه واستعماله، فيوسع فضاء النص ويوازي بين الكلمات والعبارات، محاولاً الوصول إلى تجسيد الواقع الحي في المتن الروائي. ليأتي الاستهلاك الروائي طارحاً مساحة التنقل التي تنقل المتلقي من الطقس العامي العادي الذي تفرضه الرواية إلى المناخ الشعري الذي يفرضه الراوي؛ مما يجبره على الغوص من خلال الخيال في أواصر الأحداث ومجرياتهما، ومن أمثلة ذلك:

"الحزن يا صغيرتي، أراه بأَمِّ قلبي وهو آت صوبي، واثقا بسطوته ووجوده، كأية ظاهرة طبيعية.... (مهادوي، 2015، صفحة 6)

إي والله، كلنا طارئون على الدنيا، نتوهم الإقامة فيها لا غير، مسافرون في حركة هي سبب

وجودنا ولو في سكون، كل شيء سفر، كل صباح جديد سفر، لأننا كل جديد نصبح ونحن مختلفون عما كنا، كل حب سفر، وكل حزن سفر هكذا نحن بنو البشر قدرنا أن نسافر في أقاليم أعمارنا، في الرحلة الكبرى للحياة، على سكة العمر. (مهداوي، 2015، صفحة 457)

جاء أسلوب مهداوي في روايته معتمدا على الشعرية في طريقة سرده للأحداث، سعيا منه لجذب عواطف المتابعين لمجريات الرواية وأحداثها، ليكسب عددا أكبر من القراء، ويوسع أفق التلقي متضمنا شعرة الأسلوب في أدائه السرد، وعرضه لكم من العواطف والهواجس على حد سواء.

السرد كقيمة مهيمنة:

لقد اعتمد الروائي على عنصر السرد بصفة واضحة وجلية من بداية الرواية إلى نهايتها باعتباره العنصر الأساس في سرد الأحداث والوقائع، بحيث نجد ذلك في الرواية في قوله:

"كنت أقول لك ذات حب، الحب الكبير يا صغيرتي كاهن لا تخطئ نبؤاته أبدا. كنت أقول لك: إني أراك من خلال شرفات القلب بجني، ونحن نعبث إلى هناك إلى أبعد منا نهاية الحب يا صغيرتي، كان يكفي أن ينظر من أصغر نافذة للقلب كي نراها. (مهداوي، 2015، صفحة 5)

كذلك نجد: "كنت أمشي صبيحتها متجها نحو باب السبت إلى قاعة الشاي التي اتفقنا على اللقاء فيها، ولست أعرف لماذا تذكرت عمي عبد السميع". (مهداوي، 2015، صفحة 77)

يبدو أنّ فن السرد ينتهي بانطباع موحد؛ ممثلا في لحظة التنوير التي تضيء الموقف برمته، حيث تتشكل الرؤية على مهل فيما يتعلق بالمشهد، ولهذا كان السرد المشعرون استجابة لحظات التوتر والتأزم، في حين أتت الرواية لتعبر عن رؤى ذات بعد شمولي؛ تعبر عن موقف فئة اجتماعية، ويعيد إنتاج واقع مرحلة متكاملة؛ فالرواية تعبر عن نهر الحياة لنموذج اجتماعي، والشعري تثبت لهذا النموذج..

-تضائل الحكاية وزيادة القصة:

1/ الحدث: هو عنصر أساس ترتكز عليه القصة، فهو مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص، فالأحداث هي المادة الخام التي يعتمد عليها الروائي في الكتابة القصصية، وهذه الأحداث تؤديها شخصيات القصة، تصنع الإثارة القصصية والمتعة السردية.

بما أنّ الرواية عبارة عن مجموعة قصصية أو مجموع قصص، فهي تعتمد على قصة واحدة رئيسية إضافة إلى قصص فرعية متتابعة خادمة أو مكملتها، ويكمن جوهر القصة الرئيسية في روايتنا في معاناة سكان مدينة البليدة، وبالتحديد في "باب السبت" والتي عايشوها في حقبة العشرية السوداء، في حين تليها أحداث أخرى وتتجلى من خلال الرواية في: "سنة 1994، كانت سنة حرب، الحب في زمن الحرب قنبلة بوجهين، وجه مختلف هو للحب، حيث للحب "ديناميت" فتاك وآخر متقلب الألوان" (مهادوي، 2015، صفحة 28). فقد تضمن هذا الحدث رغم الظروف المتقلبة، القاسية والصعبة ولد قصة حب ديناميت الذي يعد فتاك في تلك الفترة أو السنة.

كذلك "في الصبيحة طلبت مني أن يخرج كل واحد وحده، كانت الساعة صباحا حيث فتحت الباب خارجا، من عادي أن ألتفت خلفي حين أمشي، لكن حركة سيارة كانت تسير خلفي تتبعني بدت لي مشبوهة جعلتني ألتفت، في المقعد الخلفي للسيارة، كان يجلس عصام بن يمينة, توقفت السيارة، نزل عصام ومن دون أن يسلم علي" (مهادوي، 2015، صفحة 52).

هنا نجد ذلك الاهتمام المفرط للكاتب بطريقة عرض الحدث على غرار بسط الحدث في ذاته؛ هو ما نحاول طرحه هنا؛ يتقلص الحدث وينشد إلى المركز، لتتسع دائرة السرد؛ لتتشكل القصة حيث تحقق المعادلة الآتية:

القصة = الحكاية + السرد

2/ الشخصيات:

تعتبر الشخصيات هي المحرك الرئيس لأحداث القصة عبر كل زمان ومكان. فباب السبت تقدم لنا شخصية رئيسة تدور حولها كل الشخصيات الفرعية الأخرى، دون أن تكون هناك شخصية منفردة بحكايتها توقد قصة جانبية ... هذا ما لا يتوفر عليه الحكوي في باب السبت

نجد أن الشخصيات التي ضمنها عبد القادر مهادوي في الرواية تتمثل في: ياسين بورتيلة، عصام بن يمينة، بشير وليندة... كما وصفها بالبلوندة الشقراء (مهادوي، 2015، صفحة 11/9) فالروائي يسرد لنا

ذكريات البطل مع الأصدقاء في مرحلة الطفولة، إلى جانب مغامراته الأخرى؛ حيث تتقدم هذه الشخصيات لاستعراض اللغة.

3/ الزمان والمكان:

كل حادثة تقع " في مكان معين، وزمان بذاته، وهي لذلك ترتبط بظروف وعادات ومبادئ خاصة بالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما (إسماعيل، 2013، صفحة 108). ونجد هذا في الرواية في قول الروائي:

" في ذلك العام كنا نلتقي في الجامعة تارة، أو في كافيتيريا السلام بباب السبت، "كنت تحدثيني كل يوم عن تلك المفاوضات السرية والمعلنة التي كانت تعقد أيامنا". (مهداوي، 2015، صفحة 37) فعنصر الزمان هو ذلك العام، أما عنصر المكان الجامعة وكافيتيريا السلام بباب السبت. كذلك نجد " في ذلك الصباح ركبنا القطار صباحا، أتيت تتلفتين خلفك، كأَنَّكَ خائفة" (مهداوي، 2015، صفحة 41) فالزمان هنا متوقف والمكان مبدد يصب في صالح السرد على حساب الحكاية.

3/ الرواية والسرد التمثيلي:

تعتمد لغة الرواية على عدة تقنيات، وتتفنن في سردها؛ فهي تعتمد مختلف القوالب التي تبنى عليها مختلف النصوص، بما تحتوي من مقومات، ويأتي المقوم التمثيلي في ريادة هذه التقنيات بما يوفره من عدة مواقف وصفية ومشاهد ولوحات ولحاح حوارية تجسد مواقف معينة، تبرزها من خلال هذه الآلية، كآلية و"أداة تفسير وإيضاح" (النادي، 1987، صفحة 41) مثلها مثل المشاهد واللوحات.

أ/ صوت الحوار: يعتبر الحوار أوضح جزء في العمل الدرامي، وأقرب إلى الجماهير وأسماعها ويعبر به الكاتب عن فكرته، ويكشف به عن الأحداث المقبلة والجارية في العمل، وعن الشخصيات ومراحل تطورها والحوار الجيد هو الذي تدل كل كلمة على معنى يكشف عن حقيقة معينة، ويعبر عن تلك الحقيقة تعبيرا دقيقا لا مبالغة أو افتعالا فيه، لأنه الوسيط الذي يحمل العمل الدرامي إلى أسماع المتلقي (النادي، 1987، صفحة 28)؛ بمعنى أنَّ مكونات الحوار عبارة عن كلمات مفاتيح تفتح أعين المتلقي على حقائق لا يعرفها، يكتشفها من خلال الحوار.

إن الحوار في رواية باب السبت هو عنصر تكويني ومقوم ثانوي، فطبيعة الحوار فيها متمثلة في أقوال متبادلة بين شخصين أو أكثر في مكان وزمان معلومين (بن حميد، 2008، صفحة 595)، تُضفي عليها طبيعة تأسيسية للأحداث والمواقف؛ إذ تجسد هذه المواقف من خلال هذا الحوار الحاصل بين الشخصيات بوصفه مادة أولية متحررة، تتجاوز جميع الأجناس والراتب المتعارف عليها؛ لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الجهد وقواعد المعقول والمفهوم (صلاح فضل، 2007، صفحة 89)، لكون النصوص تمثل المادة الخام التي تتبلور حسب حاجة المبدع، وتتميز بنوع من الخصوصية كلما كانت في نوع ما أي حسب الآليات المستعملة. يقول "عبد القادر مهادوي" في نص الرواية:

قلت: الحمد لله على سلامتك

كنت أريد أن أقول لك:

بلا على سلامة الحرب التي ضمنت لها في سكوننا أبديا آمنا، وعلى سلامة غايات الحزن التي ستزدهر وتنمو، في مزهية الروح التي لم تعد تتسع لزهرة واحدة، وعلى سلامة نبوءاتك.

واش راك لباس

لا باس (مهادوي، 2015، صفحة 88)

يمثل هذا الحوار عدة مفاهيم ومقاصد عبرت عن الرواية من خلال سرد الروائي والإحاطة بكل أفكاره؛ ليصبح حدثا لذلك يعد الحوار حدثا حيا مجسدا بصورة شبه حقيقية في شكل قالب مسرحي. فالحوار المسرحي يتميز بكونه لا يمثل معنى فحسب بل يشكل فعلا، فكل تدخل لشخصية من الشخصيات يحور شيئا في الكون المسرحي، لأنّ النص المسرحي دون من أجل التجسيد، وحين تقوم بتجسيد النص، فإنّ الحوار يتغير وزنه في الأداء فيصبح فعلا وحدثا يتميز عن الحوار الروائي الذي يبقى أسلوبا قصصيا تترابط فيه ثلاث مقامات تواصل وهي مقامات: الشخصية، والراوي الكاتب، والمروي له القارئ (بن حميد، 2008، صفحة 595) فمن خلال إدراج الروائي للحوار، حاول أن يشد القارئ وتوقعه في زمن السرد للرواية وحضوره كسارد في نص الرواية ومعاشيش للأحداث.

ب/ السرد وتصوير المشاهد:

ومن المصطلحات البنوية الخارجية للنص التمثيلي نجد مثلاً: المشهد فيمكن أن تعتبره وحدة زمنية صغرى، تتحدد بدخوله أو خروجه إحدى الشخصيات، فكلما ظهرت شخصيات جديدة تغير المشهد في المسرح، وتغير مسار النص في الرواية.

ف نجد الروائي عبد القادر مهادوي في روايته قد لجأ إلى تقنيّة الوصف من أجل الوصول إلى تصوير أحداث قد تأثر في نفس المتلقي وجعلها تعايش الحدث؛ يتضح ذلك في قوله:

" لقد صار الحزن يا صغيرتي بعدك فصيحاً بليغاً، هو ذا يحاصر كل فرحة هي لي، بجيوش حججه الدامغة، التي يملك القلب قاضي الأحاسيس المحلّف ردها"(مهادوي، 2015، صفحة 7)

هكذا وظف الروائي المقتطفات الوصفية من أجل وضع حد فاصل بين أزمنة السرد لتأخذ القارئ في إيقاع خاص وفي جملة وصفية دون أن يقيم حواراً مطوّلاً، فإذا كانت جملة الحوار المسرحي " وسيلة الاتصال الفكري بين المؤلف والمتلقي"(صائل، 1991، صفحة 91) ، فإنّ الحوار له دوره في بناء النص الروائي، كما في النص المسرحي، وبناء على ذلك فإنّ الاستعمالات المختلفة لآلية الحوار التي من خلالها يسعى الروائي إلى إحياء المواقف وتدارك التفاوت الزمني بين القصص لتمثل بذلك استراحة للقارئ من خلالها يندمج مع النص الروائي، ومن أمثلة ذلك في الرواية: (جملة مبتورة المعنى)

هكذا افترقنا بعد طفولة نقية، وعدنا للتلقي ثانية في رواق من أروقة جامعة البليدة،
غرفتك أول ما رأيتك.

بادرتني: إبراهيم

أحببتك

نعم، واش راكي باية؟

لاباس بخير. (مهادوي، 2015، صفحة 13)

كنت أعرفك... قلت لك مازحاً كيف؟ هل تقصد أنك لا تتعرف علي؟ بل كدت أعرف عليك، لأنني لم أعرف عليك بذاكرتي، وإنما بشيء آخر يشبه الحُدس، لقد تغيرت كثيراً. (مهادوي، 2015، صفحة

(13)

خاتمة:

قدّم عبد القادر مهادوي سرداً متكاملًا يعاكس نسج النثر القصصي بطريقة فذة؛ جمع آليات مختلف الأنواع والأجناس الأدبية منها: الشعرنة، والتصوير، والمشهد، والحوار.. مستخدماً نفس آلية الأداء التراتبي للتنوع الأسلوبي والانزياح التشكيلي. إضافة إلى السرد المتعالي الذي يروي الأحداث التي صنعت "باب السبت". فهو لا يبيّن لنا طريقة تصوير الأحداث كما نراه أو نعيشه بل من خلال حوار السرديات. فقد كان السرد من بين الشخصيات الفاعلة في لعب دور الأحداث أو الخطاب الموجه عبر حوار مبني على تكملة الأفكار ونسجها بصورة أوضح؛ في بناء شخصية ثالثة هي شخصية السرد.

قائمة المراجع:

- إبراهيم عباس، (2005)، الرواية المغاربية تشكل النص السردى في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الراشد للكتاب، الجزائر، ط1.
- وليد إخلاصي، (2008)، كلام في الرواية، مجلة الوقف الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق.
- محمد العيد تاورته، (2004)، نشوء الرواية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، م12، ع21، منشورات جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر.
- عز الدين المناصرة، (2006)، علم التناص المقارنة (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- محمد صالح الشنطي، (2009)، تداخل الأنواع الأدبية في الرواية الأردنية، مؤتمر النقد الدولي 12، دار الكتاب العالمي، عمان الأردن.
- رضا بن حميد، (2004)، تداخل الأنواع والخطابات، كلية الأدب، تونس.
- عز الدين المناصرة، (2010)، الأجناس الأدبية في ضوء الشعرية المقارنة "قراءة منتاجية"، دار لوبان للنشر والتوزيع، ط1، عمان.
- عبد القادر مهادوي، (2015)، باب السبت، ط1، دار الثقافة الوادي.

- أحمد إبراهيم الهواري، (2008)، نقد الرواية في الأدب العربي الحديث، عين للدراسات والبحوث، القاهرة.
- ميشال بوتور، (1982)، بحوث في الرواية الجديدة، تر، فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، ط2، بيروت.
- جورج لوكاش، (1979)، الرواية كملحمة برجوازية، تر، جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت.
- عادل النادي، (1987)، مدخل إلى فن كتابة الدراما، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ط1، تونس.
- عز الدين إسماعيل، (2013)، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة.
- صلاح فضل، (2007)، في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- محمد صائل، (1991)، قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن.